

التسهيل لعلوم التنزيل

@ 39 @ ليكون أحد الأمرين إما إخراجهم أو عودهم إلى ملة الكفر فإن قيل إن العود إلى الشيء يقتضي أنه قد كان فعل قبل ذلك فيقتضي قولهم لتعودن في ملتنا أن شعيبا ومن كان معه كانوا أولا على ملة قومهم ثم خرجوا منها فطلب قومهم أن يعودوا اليها وذلك محال فإن الأنبياء معصومون من الكفر قبل النبوة وبعدها فالجواب من وجهين أحدهما قاله ابن عطية وهو أن عاد قد تكون بمعنى صار فلا يقتضي تقدم ذلك الحال الذي صار اليه والثاني قاله الزمخشري وهو أن المراد بذلك الذين آمنوا بشعيب دون شعيب وإنما أدخلوه في الخطاب معهم بذلك كما أدخلوه في الخطاب معهم في قولهم لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك فغلبوا في الخطاب بالعود الجماعة على الواحد وبمثل ذلك يجاب عن قوله إن عدنا في ملتكم وما يكون لنا أن نعود فيها ! 2 2 ! الهمزة للاستفهام والإنكار والواو للحال تقديره أنعود في ملتكم ويكون لنا أن نعود فيها ونحن كارهون ! 2 2 ! أي إن عدنا فيها فقد وقعنا في أمر عظيم من الافتراء على الله وذلك تبرأ من العود فيها ! 2 2 ! هذا استسلام لقضاء الله على وجه التأدب مع الله وإسناد الأمور إليه وذلك أنه لما تبرأ من ملتهم أخبر أن الله يحكم عليهم بما يشاء من عود وتركه فإن القلوب بيده يقلبها كيف يشاء فإن قلت إن ذلك يصح في حق قومه وأما في حق نفسه فلا فإنه معصوم من الكفر فالجواب أنه قال ذلك تواضعا وتأدبا مع الله تعالى واستسلاما لأمره كقول نبينا صلى الله عليه وسلم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك مع أنه قد علم أنه يثبته ! 2 2 ! أي احكم ! 2 2 ! أي كأن لم يقيموا في ديارهم ! 2 2 ! أي كيف أحزن عليهم وقد استحقوا ما أصابهم من العذاب بكفرهم ! 2 2 ! قد تقدم ! 2 2 ! أي أبدلنا البأساء والضراء بالنعيم اختبارا لهم في الحالتين ! 2 2 ! أي كثروا ونموا في أنفسهم وأموالهم ! 2 2 ! أي قد جرى ذلك لآبائنا ولم يضرهم فهو بالاتفاق لا يقصد الاختبار ! 2 2 ! أي بالمطر والزرع ^ أو أمن ^ من